الفصل الرابع

ما ينسب من تشريع للنبي موسى عليه السلام

دراسة تحليلية للأسفار الخمسة

في التوراة

ما ينسب من تشريع للنبي موسى (عليه السلام)

يرى كثيرون من متديني اليهود أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة تنسب إلى موسى (عليه السلام) وقد أجرى العديد من الدارسين والباحثين على هذه الأسفار دراسات تحليلية تناولت شخصية موسى وتناسبها مع ما نُسب إليه وتاريخ تأليفها ولغتها وصلتها بتراث شعوب المنطقة وعقائدها.

وعقد بعض الدارسين العرب والمسلمين مقارنات بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم، وتناولوا التشريع التوراتي بالتحليل والنقد والتفنيد وغير ذلك.

وفي هذه الصفحات سنتناول بالدراسة التحليلية ما جاء في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة باعتبارها ـ حسب أتباع اليهودية ـ أسفار موسى الخمسة ونتناول التشريع الذي طُرح فيها ومدى ما توافق مع القرآن الكريم أو خالفه.

1 ـ نسبة الأسفار الخمسة لموسى (عليه السلام). لماذا وكيف؟

جاء في كثير من الدراسات اليهودية والمسيحية الغربية أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة بأنواعها الثلاثة: العبرانية، السامرية، اليونانية، هي أسفار موسى (عليه السلام). وظل هذا سائداً في كثير من الأوساط اليهودية والمسيحية.

وقد تناول هذه الأسفار عدد كبير من العلماء والدارسين وتوصلوا إلى نتائج مهمة، قلبت العديد من المفاهيم المتداولة والمسلّم بها. وحين نضع هذه الأسفار تحت الضوء والفحص نرى فعلاً أن نسبتها إلى النبي موسى ليس أمراً صحيحاً لأسباب عديدة. وقد تكون بعض التشريعات المبثوثة في سفر التثنية ترتبط بتشريع نبوي موسوي، ولكن هذا لا يعني قطعاً أن هذه الأسفار هي ما أوحى الله لموسى وحياً أو حتى كتابة أو غير ذلك.

وقبل أن نأخذ بالتحليل التفصيلي لهذه الأسفار لابد أن نذكر أن الذين أجمعوا على عدم صحة نسبتها إلى النبي موسى هم من الدارسين اليهود والغربيين المتخصصين بعلم اللاهوت والتاريخ والفلسفة.

وقد طرح جميع الباحثين السؤال التالي: هل حقاً أن موسى عليه السلام هو من كتب الأسفار الخمسة من التوراة؟ أو بصيغة أخرى: هل كانت هذه الأسفار هي ما أنـزل على النبي موسى ونسخها وصارت كالشكل الذي نعرفه؟

كيف ذلك والسفر الأخير وهو سفر التثنيـة يتحـدث بالتفـصيل عـن مـوت النبي موسى.

ولـماذا وردت أسـماء في التـوراة لأمـاكن كثـيرة في سـيناء وفلـسطين لم تكـن موجودة أساساً في زمن النبي موسى. لقد أقر الدارسـون أن الأسـفار الخمـسة قـد كُتبت ووسعت وزُيّنت لاحقاً من قبل محررين مجهولين ومـراجعين متعـددين عـلى مدى عدة قرون.

وقد أقر العلماء منذ القرن التاسع عشر أن قراءة حذرة لسفر التكوين على سـبيل المثال تكشف عن نسختين متعارضتين لقصة الخلق 1/ 2 ـ 2 ـ 3 و2/ 4 ـ 25. فهنـاك سلسلتا نسبٍ مختلفتان جداً لنسل آدم وهناك قصتان للطوفان منفـصلتان ثـم مرتبتـان ثانية مع بعضهما. بالإضافة إلى أن هناك العشرات من نماذج التكرار المضاعف.

ولعل أكثر من فتح الآفـاق حـول دراسـة الأسـفار الخمـسة المنـسوبة للنبـي موسى عليه السلام هو ابن حزم الأندلسي الذي ألف كتابه الضخم في الأديان (الفـصل في الملل والأهواء والنحل) أما بالنسبة للعلماء اليهود القدامى فقد برز منهم ابـن عـزرا وهو حبر يهودي غرناطي يُدعى إبراهيم بن عزرا وقـد ولـد سـنة 1092 وتُـوفي في غرناطة سنة 562هـ 1167م.

ومن علمائهم الحبر اليهودي المغـربي الفـاسي سـليمان بـن مـيلخ الـذي نـشر تفسيره للعهد القديم سنة 961م ـ 1554هـ في القـسطنطينية، ومـنهم أيـضاً يهـود اهتدوا إلى الإسلام. أمثال الحسن بن أيوب قبل القرن الرابع والـسموأل بـن يحيـى المغربي سنة 570هـ والحسن بن سعيد الإسكندراني وابن قوسين اليهودي.

وقد أثر ابن حزم بالفيلسوف باروخ سبينوزا الذي يعتـبر أهـم مـن كتـب في دراسة التوراة وقد شرح سبينوزا الفكر النقدي للحبر ابن عزرا الآنف الذكر.

ويلخص سبينوزا كلام ابن عزرا في ثلاث نقاط:

1 ـ أن النبي موسى عليه السلام لم يكتب هذه الأسفار التي يطلق عليها التوراة.

2 ـ أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً.

3 ـ أن موسى كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المعروفة.

ومن خلال استنتاجه يرى:

1 ـ أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي التي جاء فيها: (فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة)، وذلك لسبب واضح جداً هو أن موسى عليه السلام لم يعبر نهر الأردن ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية نفسه.

2 ـ لقد نُقش سفر موسى الأصلي كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد. يتكون من اثنتي عشرة حجرة حسب عدد الأحبار، ومعنى ذلك أن سفر موسى الأصلي كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله (سر الاثنتي عشرة).

3 ـ يذكر الحبر كذلك أنه قد ورد في سفر التثنية: (وقد كتب موسى هذه التوراة). ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لابد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

4 ـ يروي ابن عزرا نصاً من سفر التكوين يقص فيه الراوي (يقصد سبينوزا بالراوي جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة) رحلة إبراهيم عليه السلام في بلاد الكنعانيين ويعلق عليها الراوي (مؤلف التوراة الحالية) والكنعانيون حينئذٍ في الأرض.

5 ـ ذكر الحبر ابن عزرا أنه جاء في سفر التكوين: أن جبل موريا سمي جبل الله. ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد الذي سمي الهيكل. وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان النبي موسى عليه السلام.

أما ما توصل إليه الفيلسوف سبينوزا في دراسته لهذه الأسفار فهو:

1 ـ أن الأسفار الخمسة لا تتحدث عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تعطي عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها وهذه الشهادات مثل:

تحدث الله مع موسى، وكان الله مع موسى وجهاً لوجه، وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس، فسخط موسى على وكلاء الجيش، موسى رجل الله، لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل.

والأكثر من ذلك تتحدث التوراة أن موسى فاق جميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده، أي داود وسليمان وهذا يدل على أن الذي كتب التوراة جاء بعد داود وسليمان فأين هذا مما ينسب إلى موسى أنه صاحب هذه الأسفار.

إضافة لذلك فإن بعض الأماكن أطلق عليها أسماء عبرانية وأقحمت على روايات من زمن إبراهيم مثل كلمة دان وكان اسمها سابقاً لاييش.

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود بعد موسى بزمن طويل، وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل.

وبشكل عام فإن ما توصل إليه العلماء يشكل إجماعاً منهم أن الأسفار الخمسة ليست تأليفاً فردياً واحداً بل تجميع وترقيع لمصادر مختلفة، كل منها كُتب تحت ظروف تاريخية مختلفة لإبداء وجهات نظر دينية أو سياسية مختلفة.

التشريع الموسوي والتشريع التوراتي

لقد صار من المؤكد أن التوراة بكل أصنافها العبرانية والسامرية واليونانية هي كتب مؤلفة باعتراف كافة العلماء الغربيين واليهود وغيرهم.

وحين ننظر في التشريع الذي ورد في التوراة نرى أموراً عديدة لا تتوافق مع منهج النبوة بالشكل العام ولا منهج النبي موسى بشكل خاص. وطالما أن التوراة العبرانية تُنسب إلى عزرا وعدد آخر من المؤلفين، فلابد أن تكون الكتابة انعكاساً

للظروف العقلية والنفسية والاجتماعية التي عاشها عزرا وعاشها اليهود المنفيون في أرض العراق. ونعتقد أن التشريعات التي وردت في سفر الخروج وسفر التثنية جاءت انعكاساً لتلك الظروف وليست هي تشريعات سماوية كتبها الله على بني إسرائيل.

وتقع الإشكالات التشريعية في قوانين الحرب والإبادة والقتل غير المشروع، ثم الدفع باتجاه الغزو وتخريب البلاد والعباد، والتشريعات التي تخص الحياة الداخلية لليهود كالمأكل والمشرب والحلال والحرام والطهارة والنجاسة والذبح وما شابه ذلك.

وعلينا أن نلاحظ أن التشريعات التي وردت في التوراة وهي مشكوك في نسبتها إلى النبي موسى لم يتقيد بها اليهود بل اخترعوا تشريعات أخرى تناسب أوضاعهم ونفسيتهم التي صاروا عليها بعد مئات السنين.

العبادات بين التشريع الموسوي والمستحدث من التشريع اليهودي:

تنقسم العبادات إلى صلاة وصوم وأعياد عند اليهود. وقد وردت بعض الإشارات لصلوات كان يقوم بها النبي موسى، ويقول فيها بعض الكلمات كما نصت عليه التوراة وقد جاء في كتاب السموأل بن يحيى المغربي:

نقول لهم: ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ هل هي التي فارقكم موسى عليه؟ فإن قالوا نعم. قلنا فهل كان موسى وأمّته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟ (اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أفكار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل) أم هل كانوا يقولون على عهد موسى ﷺ كما يقولون في كل يوم: (اردد حكامنا الأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها سبحانك يا باني يروشليم) أم هذه فصول لفقتموها بعد زوال الدولة؟

فتغيُّر الكلام الذي طرأ في صلاة اليهود وقع بعد النفي البابلي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ودليل السموأل هنا واضح على التحريف والنسخ. فالقول الأول عبارة عن دعاء يهودي قيل في صلواتهم أيام النفي. ومضمونه الطلب

من الله سبحانه أن يعتقهم من الأسر والعبودية ويجمعهم بعد أن شتتهم البابليون. ويدعون ربهم أن يعيدهم مجتمعين في القدس.

أما النص الذي أورده السموأل بأنه منسوب إلى النبي موسى عليه السلام ويقوله اليهود في صلواتهم. فالواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ولم يدخل القدس وهذا ما جاء في التوراة العبرانية كما جاء في القرآن الكريم، وقول السموأل (كانوا يقولون على عهد موسى) الخ.. فيه خطأ كبير لأن النص يشير إلى أن الرب هو باني أورشاليم القدس ويقصدون القدس يهودية السكان. والواقع لو حمّلنا النص معنىً آخر لقلنا أن النص عبارة عن دعاء وأمنية كي تصبح القدس لهم. والمدقق في أسفار التوراة لا يرى أي رابط بين القدس والتقديس الإلهي. والحقيقة أن الله توفى موسى قبل أن يتسرب بنو إسرائيل إلى فلسطين، وتقول التوراة في ذلك: (**ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم**) سفر التثنية 34: 4 ـ 6. أما ما يُرى اليوم من صلوات يهودية بجانب حائط البراق الذي يزعمون أنه حائط المبكى فلا يمت بأي صلة للصلاة التي كان يؤديها موسى وجماعته، فهي صلوات مستحدثة فيها من الحركات ما هو مثير للدهشة من هز الرأس والقسم الأعلى من الجسم وهذه مخترعات اخترعها حاخاماتهم ولم يكن يعرفها موسى عليه السلام.

ومن التشريعات التي لم تكن في زمن النبي موسى عليه السلام واستحدثها كهنتهم ما يسمى صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كذليا. وقد جعله اليهود فرضاً، ويقول السموأل في ذلك:

هل كان موسى يصومها أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون. أو صلب هامان؟ هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه العصور؟ فإن قالوا وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر قلنا لأن التوراة نطقت بهذه الآية: (**لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية**).

وقد صام النبي موسى أربعين يوماً على جبل سيناء وذلك لاستقبال كلمات الله تعالى. ولم يرد الصوم لفظاً في أسفار موسى المنسوبة له ولكنْ كان يوم واحد للصوم هو يوم الكفارة. وفي أيام النبي زكريا كانت أصوام كثيرة مفروضة في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر تذكاراً لحصار القدس في الشهر العاشر وسقوطها في الشهر الرابع وخراب المعبد في الشهر الخامس. ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع.

وفي بعض مسائل الطهارة. حوّلوا ما كان في زمن النبي موسى من تشريعات تخص الطهارة وقد ورد ذلك في ما ناقشهم به السموأل بين يحيى المغربي فقال:

تقول لهم أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام. فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حالٍ لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها فلا يمكنكم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك فيقولون لا نقدر عليه. فنقول لهم فلم جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأنا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله ممّا تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه. فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحالٍ اقتضاها هذا الزمان وإن قالوا لا لا يُستغنى في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبُه ثوب امرأة لاستنجستموه مع ثوبه فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة الحيض. فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا

كانت من غير ملتكم ولا تستنجسون لامسَها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله منكم نسخ أو تبديل.

ما نُسب إلى النبي موسى في الأسفار الخمسة الأولى

يقر جميع اليهود بأن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة هي أسفار النبي موسى عليه السلام. ويرون أن الله أوحى بها لموسى وهو على جبل حوريب أي طور سيناء. ويخلطون بينها وبين ما حوته الألواح، وبعضهم يرى أن ما كتب على الألواح هو نفسه ما جاء في هذه الأسفار الخمسة.

وحين نطالع هذه الأسفار سفراً سفراً نرى عشرات الأمور المتناقضة مع منهج النبوة من ناحية والمتناقضة مع القرآن من ناحية ثانية والمتناقضة مع نفسها من ناحية ثالثة.

وهنا لابد أن نبحث أولاً في نسبة هذه الأسفار للنبي موسى وهي أبعد ما تكون من الذي أنزل عليه.

فالقرآن يخبرنا أن كتاب موسى عليه السلام فيه هدى ونور وأن التوراة أيضاً فيها هدى ونور فهل كانت الأسفار الخمسة هدى ونور؟ هل هي متوافقة مع الهدي النبوي الذي جاء به موسى عليه السلام؟

سفر التكوين: حينما نطالع السفر الأول وهو سفر التكوين لا نرى أية إشارة للنبي موسى عليه السلام، فهذا السفر الذي يقع في خمسين إصحاحاً لا يمت بصلة إلى النبي موسى ولا توجد أية إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى أن الله سبحانه نزّله على النبي موسى عليه السلام. ولم يأت السفر على ذكر النبي موسى في أي صفحة من صفحاته، يقول رحمة الله الهندي: وهذا الأمر لا يظهر من موضوع من موضوعات التوراة بل تشهد عبارته أن كاتبه غير موسى وهذا الـ(غير) جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود. ميّز بين هذه الأقوال بأن ما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت قال الله أو قال موسى وعبر عن موسى في

جميع الموضوعات بصيغة الغائب ولو كانت التوراة من تصنيفه لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع، لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم على خلافه دليل قوي ومن ادعى خلاف ذلك الظاهر فعليه البيان[1].

ويقول الهندي: لا يقدر أحد أن يدعي بالنسبة إلى بعض الفقرات وبعض الأبواب أنها من كلام موسى. بل إن بعض الفقرات تدل دلالة بينة أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل داود ﷺ بل يكون إما معاصراً له أو بعده.

ويدعي بعض علماء اليهود أن عزرا كتب التوراة بالإلهام. بمعنى أن الله ألهمه التوراة وهذا يعني أن كتاب موسى وتوراته بعد أن انعدما كتبه عزرا بالإلهام مرة أخرى والواقع أن عزرا لم يعد إلى كتاب موسى ولو شفاهية عندما دوّن توراته. ولو كان ما كتبه عزرا إلهاماً لما وجدنا اختلافاً واضحاً بين نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية.

ويقول السامريون: إن عزرا هو الذي كتب هذه التوراة وأنه حرّف كلام الله وغيّر وبدل عمداً بمحض إرادته. ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها بل استبدل الحق بالباطل. ويقول أبو الفتح ابن أبي الحسن السامري في تاريخه. إن الفرس لما سمحوا لليهود بالعودة إلى فلسطين طلبوا منهم أن يتّحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في نابلس وهو القبلة، وأصر بنو مملكة يهوذا أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في القدس، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق القدس التوراة التي عنده لصالحه وخالفوا الخط العبري. ويقول: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منع السامريون العبريين من بنائهم الهيكل بوساطة ملك فارس بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة.

---

(1) رحمة الله الهندي/ إظهار الحق.

ومن كبار فقهاء اليهود الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي الذي يرى أن اليهود حرقوا شريعة موسى عليه السلام. ويقول في ذلك: نرى أن أعمدة هذه الشريعة الموسوية وأركانها التي كانت مستندة إليها وفيها قوامها واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وانعدمت مثل إبادة الملك والرئاسة وعدم وجود الأنبياء وإبطال الكهنوت وخراب الهيكل وهدم المذبح واندثار الذبائح ومحق الأسباط وما يتعلق بهم، لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربط بها الله سبحانه وتعالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة حتى الأحكام المدنية أيضاً.

فإذا انعدمت هذه اللوازم الركينة وبطلت كما هو مشاهد الآن نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها بحيث تعلق الديانة بها.

ويرى هذا الحبر أن الله لم يتكفل بحفظ التوراة كما تكفل بحفظ القرآن. ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة غير راض لخلودها لا بل إنه راض بانقضائها وتبديلها، لأنه لو كان قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان هو ذاته سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً ظاهراً في كل حين وآن عند العالم والغبي والعاقل والجاهل والشيخ والشاب، وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد أعدمت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين وكل عاقل يرغب ثواب الآخرة قد يستدل على الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ هو أمر ضروري ولازم.

ويرى هذا الحبر أن الذي ألجأ الأحبار والحاخامات اليهود إلى صنع تشريع جديد يختلف عن تشريعات التوراة كون ترك اليهود لليهودية والعزوف عنها إلى ديانة أخرى.

فيقول في ذلك: وإذ رأى الأحبار والحاخامات الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك العصور تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين (محمد

وعيسى) عليهما الصلاة والسلام. وما بقي عندهم إلا قليل من الناس كما هو مشاهد. فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقها. واخترعوا آراء مستحدثة قد رأوا أن يبقوا الباقين في دينهم إلى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم (أي عند اليهود) كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبون ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته وهم من الأناس العقلاء وبعض منهم عارفون الحق ولكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأحوال والأولاد والعيال وبعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة بحيث لا يمكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات. ويخلص هذا الحبر إلى نتيجة مهمة مفادها أن الله الذي أنزل أحكام التوراة قادر على هدمها وهذه إشارة إلى نسخ التوراة بنزول القرآن الكريم[1].

أما الباحث م. ريجسكي الذي ترجم آراءه الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية يقول: إن محرري التوراة المتأخرين الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجمل الأدبيات النبوية فقط تلك النبوءات التي كان مضمونها وأفكارها تنسجم على أكمل وجه مع المشروع الديني الذي كان قد تكرس عندئذٍ، ثم عُدت تلك المؤلفات وحدها نبوءات حقيقية وكتابات مقدسة. أما البقية فقد طواها النسيان، والمحررون والنسّاخ المتأخرون كانوا يحشرون في مؤلفات نبي قديم بلا استحياء يُذكر مقاطع يرونها مناسبة من تأليف مؤلف آخر عاش بعد ذلك النبي بزمن طويل.

ويتساءل ريجسكي عن مصير الكتاب الذي عثر عليه حلقيا الكاهن زمن الملك يوشيا عام 622 ق م فيقول: ما الذي جرى لهذا الكتاب فيما بعد؟ من المستبعد تماماً أن يكون الكاهن الأول حلقيا (بعد أن تم استخدام سفر الشريعة

---

(1) الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية ملحق على كتاب غاية المقصود للسموأل بن يحيى المغربي.

الذي عثر عليه استخداماً بالغ النجاح) قد سمح لهذا السفر أن يبقى في نسخة واحدة مجهولة يغطيها الغبار على رف المكتبة داخل المعبد ويقول: في أي مكان من العهد القديم يحتمل أكثر أن نعثر على سفر الشريعة. واضح أنه في ذلك الجزء الذي حصل فيما بعد على تسميته تورا ـ القانون لم يكن في الحقيقة كتاب موسى وقد قيل عن الكتاب الذي عثر عليه حلقيا أنه أعطي بيد موسى، وهذا يعني أنه كان يمكن أن يصبح أحد الكتب الخمسة (الأسفار الخمسة) أو جزءاً من أحد تلك الكتب. إنه يعبر بشكل واضح خصوصاً عن الأفكار التي تم تجسيدها في إصلاحات يوشيا الملك إنه كتاب التثنية حيث يتم التعبير بإلحاح عن المطالبة بعدِّهِ يهوه إلهاً وحيداً لإسرائيل وباجتثاث عبادة كل الآلهة الأخرى.

وهذا يعني أن سفر التثنية ليس كله لموسى إنما أدخل الكاهن حلقيا بعض توجيهاته التي أراد من ورائها أن يقوم الملك يوشيا بدور مهم بإعادة الاعتبار لعبادة يهوه وإبعاد الآلهات الصنمية التي عبدها بنو إسرائيل ونسبها إلى موسى كي يقدسها القوم ولا يرفضوها. فلو أن حلقيا أعلن أنه مؤلفها فإنهم يرفضونها أما إذا ادّعى أنها لموسى فإنهم ينصاعون لها.

وقد رفض اللاهوتي ابن عزرا وهو من القرن الثاني عشر وكذلك الفيلسوف اليهودي سبينوزا من القرن السابع عشر وكذلك فولتير رفضوا جميعاً وبحزم فكرة أن يكون مؤلف الكتاب الذي عثر عليه حلقيا هو موسى.

وقد برهن العالم الألماني دي فيتيه من بداية القرن التاسع عشر بالدليل القاطع أن كتاب التثنية ما كان بوسعه أن يظهر في زمن موسى أي في القرن الخامس عشر ق.م فالقوانين والأحكام المدوّنة في الكتاب تعني شعباً يعيش حياة حضرية مرتبة ويشتغل بالزراعة كما يملك مدناً كبيرة ونظاماً سياسياً جيد التطور. وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة زمن موسى إذ كان في الصحراء وجماعته جماعة منقطعة عن كل شيء زراعي أو حضري.

ويفهم من ذلك أن ما كتب في سفر التثنية لا يتناسب مطلقاً مع واقع الحياة البدوية الخشنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في سيناء. وهذا ينسف مقولة نسب سفر التثنية للنبي موسى عليه السلام.

وبالنسبة لكتاب سفر الشريعة الذي عثر عليه حلقيا، وادعى الملك يوشيا أنه كتاب موسى عليه السلام فيقول العالم الألماني دي فيتيه: (فيما يخص حكاية اللقية فإننا لا نستطيع معرفة وزمن وكيفية مجيء هذا الكتاب إلى معبد القدس. وليست مستبعدة إمكانية أن يكون الكاهن حلقيا هو الذي جاء به: إن طريقة ظهور الكتاب شبيهة جداً بإجراء مدبر شارك فيه عدا حلقيا وشافان والنبية خلدة)[1].

ويقول ريجسكي: إن أكثر الدارسين للتوراة حتى اللاهوتيين منهم مضطرون للاعتراف بأن كتاب التثنية أو بتعبير أدق ذلك الجزء من كتاب التثنية الذي عثر عليه حلقيا في تلك السنوات أيام حكم يوشيا تم اختلاقه والادعاء بأنه مخطوطة قديمة[2].

ثم يتساءل ريجسكي قائلاً: لماذا وكيف كان النسيان والضياع في معبد القدس هما مصير الكتاب الذي كتب بيد موسى؟

ويرى ريجسكي أن المقطع الذي ورد في سفر التثنية الإصحاح 31: 24 ـ 27 هو من تأليف حلقيا كي يسوّغ عدم ضياع كتاب موسى أو كي يسوّغ مشروعية وجوده والمقطع يقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت العهد ليهوه قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد يهوه إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون يهوه فكم بالحري بعد موتي).

---

(1) ريجسكي/ أنبياء التوراة/ ص 144 ترجمة: آحو يوسف.

(2) المرجع السابق ص 145.

ويعلق ريجسكي قائلاً: إن سخافة هذا التفسير واضحة تماماً للقارئ المعاصر. لماذا كان يجب إخفاء الكتاب ـ الشهادة ـ بطريقة جعلت من غير الممكن العثور عليه خلال عدة قرون. ويختم قوله في هذه النقطة لكن هذا المقطع من كتاب التثنية يصبح مفهوماً جداً إذا ربطناه بقصة اللقية عند حلقيا. لقد استخدم مجبر الإصلاح عام 622 طريقة معروفة من قبل، حيث تم نسب الكتاب الذي كتبوه إلى نبي قديم هو موسى، الذي كان التقليد الشعبي يرى فيه ليس مجرد شخص خلّص الأجداد من نير الفراعنة المصريين بل مؤسس ديانة يهوه.

ويرى ريجسكي: أن عزرا كرر ما كان قد فعله قبل قرنين الملك يوشيا والكاهن حلقيا. أي إن عزرا ونحميا حصلا على اعتراف رسمي بأن الكتاب الذي جلبه عزرا هو قانون أوصى به يهوه ذاته لموسى[1].

أما في التشريع فإن ما كان على زمن النبي موسى عليه السلام غُيّر وبُدل وحرف. ومن ذلك الكثير.

يقول السموأل: نقول لهم: أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها فلا يمكنهم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه. فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك؟ فيقول لا نقدر عليه. فنقول لهم فلمَ جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف (التوراة) والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأنا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهّر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه، فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان وإن قالوا لا.. لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقروا بأنهم

---

(1) ريجسكي/ أنبياء التوراة ص 146 ـ مرجع سبق ذكره.

الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبُه ثوب امرأة لاستنجستموه مع ثوبه. فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة. فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة الحيض فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت من غير ملتكم ولا تستنجسون لامسَها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر، أعني نجاسة الحيض بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله منكم نسخ أو تبديل فإن قالوا إن هذا وإنْ كان النص غير ناطق به فقد جاء في الفقه. قلنا فما تقولون في فقهائكم. هل الذي اختلفوا من مسائل الخلاف والمذهب بعينه فهم يقولون إن جميع ما في كتب فقهنا نقله الفقهاء عن الأحبار عن الثقات من السلف عن يوشع بن نون عن موسى الكليم عليه السلام عن الله تعالى فيلزمكم في هذا أن المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهائكم يكون كل واحد منهما ينقل مذهبه فيها نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل. وفي ذلك من الشناعة اللازمة لهم أن يجعلوا اللهَ قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه[1].

(ما جاء في الأسفار الخمسة يناقض كلياً منهج النبوة)

لا شك أن منهج النبوة منهج رباني أراده الله سبحانه لجميع أنبيائه الذين بُعثوا هداية للناس. وإذا تفحصنا الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرانية واليونانية وكذلك التوراة السامرية التي لا تؤمن إلا بهذه الأسفار وجدنا عشرات القضايا التي تناقض منهج نبوة النبي موسى عليه السلام، كما تناقض منهج النبوة عند كافة الأنبياء.

---

(1) السموأل بن يحيى المغربي/ غاية المقصود في الرد على اليهود، ص 12.

ويمكن لنا أن نلاحظ الأمور التالية في هذه الأسفار الخمسة وهي تناقض كلياً منهج نبوة النبي موسى عليه السلام.

1 ـ التجسيم والتشبيه وإلصاق الصفات البشرية بذات الله سبحانه.

2 ـ افتقاد عقيدة التوحيد.

3 ـ أثر العقائد الوثنية في يهودية الأسفار الخمسة.

4 ـ افتقاد الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين.

5 ـ افتقاد الإيمان باليوم الآخر.

6 ـ طغيان الحسّ العنصري.

7 ـ وجود الخرافات والأساطير المخالفة لمنطق النبوة ومنهجها.

الذات الإلهية بين عقيدة موسى والأسفار الخمسة

تتضح عقيدة التوحيد لدى النبي موسى عليه السلام في آيات القرآن الكريم وهي تخالف تماماً عقيدة الأسفار التوراتية التي تنسب إليه عليه السلام.

فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ (سورة طه: 49 ـ 53).

فالله سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والله وحده يعلم ما سلف من البشر والله منزه عن الضلال والنسيان وهو الذي جعل الأرض مسخرة للإنسان وهو الذي سلك فيها السُبل وأنزل من السماء الماء ليخرج من الأرض النباتات.

ويقول تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (سورة الشعراء: 23 ـ 28).

وحين ضل قوم موسى وعبدوا العجل بيَّن لهم فساد ذلك وأن الله وحده الإله الذي لا إله إلا هو سبحانه ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (سورة طه: 98).

فإذا كان الله سبحانه هكذا يفهمه موسى النبي فكيف فهمته التوراة ونسبت أقوالها إلى النبي موسى ذاته؟

فكما ورد في نصوص الأسفار الخمسة فإن الله رب نبي إسرائيل وحدهم دون سواهم من البشر. وهو مثل باقي المخلوقات يغار ويغضب ويتألم ويندم وهو يلد مثل البشر وينسب إليه أولاداً.

في الإصحاح الرابع من سفر الخروج جاء قول التوراة: «**وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون ولكنني أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر فقلت أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر**» (خروج 4: 21 ـ 23).

ويرد في سفر التكوين وهو السفر الأول الذي ينسب إلى موسى عليه السلام.

«**وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة كان طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم**» (تكوين 6: 1 ـ 4).

إذاً ما الفرق بين الله التوراتي والإنسان أو البشر؟ فهذا يلد أولاداً وهذا يلد مثله لكن إله موسى منزه عن هذه الصفات التي ينسبونها لله عز وجل.

ومن الواضح أن ما ورد في النصين السابقين ليس إلا صدى للمؤثرات الوثنية في عقيدة التوراة المحرفة. فنحن نعرف أن الميثولوجيا الكنعانية والبابلية واليونانية حفلت بمثل هذا التوالد والتناسل عند الآلهة. ولم يكن كاتب التوراة بمنأى عن هذه

المؤثرات طالما أنه كتب توراته في ظل وجوده في بابل أيام النفي البابلي لليهود. ولا ننسى ما اطلع عليه من ثقافة الفرس أو اليونان. تلك الثقافة التي استوحاها منهم ظناً منه أنه يمنح اليهود تراثاً عظيماً من الأساطير لكنه وقع في فخ الشرك والكفر.

وفي نفس السياق لم يكن كاتب الأسفار الخمسة يفهم معنى الربوبية وصفات الإله وقد دفعه عدم إيمانه بإله واحد وكذلك ما ران على عقله من تشويش وجنون وكذلك ما تأثر به مما شاهده وسمعه دفعه إلى الوقوع في التجسيم والتشبيه وإسقاط أفعال الإنسان على الله سبحانه وتعالى.

في سفر التكوين رأينا الله يتمشى في الجنة، ويسأل ابن آدم وهو جاهل أين يختبئ. ومع نوح والطوفان نرى الله يندم لأنه فعل الشر بالأرض ويقول لا أعود أفعل الشر كما فعلت.

ومع إبراهيم يتجسد الله ويخاطب إبراهيم ويأكل من ذبيحته، ويتردد في الإفصاح عن هويته لإبراهيم.

ومع سارة يكون الرب عنصرياً حيث يأمر هاجر أن تخضع لسيدتها وتكون خادمة مطيعة وكأن الله يفرق بين امرأة وأخرى.

ومع يعقوب يصارع الله هذا النبي في منامه فيغلبه. ومع لوط يناقض الله نفسه بنفسه فتارة يأمر لوطاً أن يأخذ أصهاره معه خوفاً من العقوبة وتارة يقول له أنت أنقذك مع ابنتيك.

وإذا دخلنا في سفر الخروج وهو سفر يخص النبي موسى عليه السلام مباشرة نرى أن الله ينزل من عليائه ليقود بني إسرائيل في النهار كعمود من سحاب وفي الليل كعمود من نار، بل إن الله يقابل شيوخ بني إسرائيل ويتحدث إليهم واحداً واحداً وينزل من عليائه فيدخن الجبل، وكأن الله مركبة فضائية تشتغل بالوقود السائل. وذات الله يقول لموسى لن تراني ولكن سترى طرفي الأخير وأنا أمر بجانب الجبل. والله عندما يهبط من عليائه فيضيء لأنه مثل العقيق الأخضر وكصفحة السماء الزرقاء في نقاوته كما يقول سفر الخروج.

إن الذات الإلهية التي تجلت في الأسفار الخمسة ليست إلا صدى للذات الصنمية الوثنية التي كان عليها آلهة الشعوب الأخرى، فهو مثل مردوخ إله البابليين وهو مثل بعل إله الفينيقيين الكنعانيين. أما إله موسى الحقيقي فهو إله جميع الأنبياء وصفاته وأسماؤه وأفعاله أتى عليها القرآن الكريم. وقد أوردنا بعض الآيات التي تحدث موسى بها أمام فرعون، وأمام قومه الذين ما عهدوا عقيدة التوحيد وما وعوها بل ظلوا بعيدين عنها منذ ذلك الزمن وإلى آخر الأزمان.

وحين نتساءل لماذا تذكر تلك الأسفار الآلهة الأخرى؟ لماذا تساوي بين ذات الله والأصنام. ولماذا تصور التوراة الله غيوراً من الآلهة الأخرى؟ أليس ذلك دليلاً على فقدان روح عقيدة التوحيد عند هؤلاء.

وإضافة لذلك تصور الأسفار الخمسة الله بصفات خسيسة لا يجرؤ عليها حتى أصحاب الأصنام. فهل الله يأمر بأن يسرق الإنسان أخاه الإنسان؟ وهل حقاً قال الله لموسى أن يقول لبني إسرائيل اسرقوا المصريين قبل أن تهربوا ليلاً؟

تقول التوراة: «**فيكون حينما تمضون أنه لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين**» الفقرة الأخيرة من الإصحاح الثالث من سفر الخروج.

وفي سفر الخروج نفسه نرى الله (تنزه عن ذلك) أنه يطلب من بني إسرائيل على لسان موسى أن يرشوا بيوتهم بالدم لكي تميّز عن بيوت المصريين. لأن الله لا يعرف أن يميز بين البيوت.

جاء في سفر الخروج: «**فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعبدونه عيداً للرب في أجيالكم تعبدونه فريضة أبدية**» (خروج 12: 12 ـ 14).

وتتجلى عقيدة الوثنية في الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى عليه السلام في العديد من الفقرات والعديد من المناسبات.

وقد ذكرنا أن كاتب هذه الأسفار يتخيل الله وهو ينزل من عليائه ليلتقي ببني إسرائيل واحداً واحداً. وهذا أشد سخفاً وحمقاً وأشد وثنيةً.

تقول التوراة: «**فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل. فرد موسى كلام الشعب إلى الرب. فقال الرب لموسى ها أنا آت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمن بك أيضاً إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب. فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء**» (خروج 19: 7 ـ 11).

وعلى الرغم من وضوح هذه الفقرة الوثنية إلا أن كاتب سفر الخروج يعدل عن رأيه في نزول الله من عليائه ويرى أن الرب قرر قراراً آخر غير الأول «**فدعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى فقال الرب لموسى انحدر حذّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون**» (خروج 19: 20 ـ 21).

ويرد تعدد الآلهة في الأسفار الخمسة بدءاً من سفر التكوين الذي يؤكد أن جماعة يعقوب بمن فيهم زوجاته وأولاده والعبيد الذين كانوا معه كانوا قد حملوا معهم أصناماً وأوثاناً عندما غادر يعقوب أرض خاله لابان.

تقول التوراة: «**فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم**» (تكوين 35).

وهو يعني أن يعقوب يعترف بوجود آلهة غير إلهه ولكنها آلهة غريبة. وله إله خاص ولغيره من الناس آلهة أخرى.

فهل يعقل أن يقول موسى هذا الكلام نقلاً عن ربه؟ طالما أنهم يقولون إن هذه الأسفار الخمسة هي أسفار النبي موسى عليه السلام.

وإذا كانت مهمة النبي يعقوب كنبـي موحـد نـشر عقيـدة التوحيـد ورفـض الوثنية فما مبرر طلبه من أهله جمع الآلهة الغريبة. وهذا بالطبع ينافي ما ورد في القرآن الكريم إذ يقول عز وجل:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: 133).

وقد حوى سفر التكوين المنسوب إلى النبي موسى عليه السلام كلاماً عن التحنيط وهـذه شعيرة خاصة بفراعنة مصر وتتصل بالعقيدة القائلة إن الفرعون يحنّط ليبقـى جـسده سـالماً لأنه سينتقل إلى عالم الخلود. لذلك فهو يحتاج للأكل والشرب فيضعون له ما يحتاجه.

جاء في سفر التكوين: «**وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنّط الأطباء إسرائيل وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين**» (تكوين 50).

وجاء أيضاً: «**ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سـنين فحنطـوه في تـابوت في مصر**» والتحنيط يعني فتح البطن وإخراج الأحشاء من داخلـه. وهـذا تـشويه لجسد الإنسان. والواقع إننا نسأل هل كان يوسف يؤمن بعقائد الفراعنة أم أنه يـؤمن بعقيـدة التوحيد. فنص سفر التكوين يشير إلى أن يوسف كان على عقيدة الفراعنة لذلك حـنّط أباه يعقوب ثم إن بني إسرائيل حنطوا يوسف أيضاً ووضعوه في تابوت.

أما ما يخص الذات الإلهية ـ وقد أشرنا إلى بعضها كما وردت في التوراة ـ فـإن أهم أمر لدى كاتب التوراة الذي نسب خمسة أسـفار منهـا إلى النبـي موسـى عليه السلام ـ أراد أن يخصص لبني إسرائيل إلهاً يختلف عن آلهة بقية الشعوب. فقد ضيقوا طبيعـة الذات الإلهية فجعلوا الإله خاصاً جداً لهم يصفونه كما يحلو لهم. وكما يرغبون وقـد ظنوا أن تخصصهم بإله خاص من شأنه أن يرفع من قـيمهم الدينيـة والعقديـة أمـام أعدائهم الذين لهم آلهة منذ زمن بعيد.

يرد في سفر الخروج قوله: «**من مثلـك بـين الآلهـة يـا رب**» «**الآن علمـت أن الرب أعظم من جميع الآلهة**» (الإصحاح 15 والإصحاح 18 من سفر الخروج).

فمن خلال هذا السياق يتبين لنا أن هناك تنازعاً نفسياً لدى اليهود بين اتخاذ هذه الآلهة أو بين اتخاذ أخرى. وبعد كل نعمه تحل بهم يقولون إن هذه الآلهة هي الأفضل. فهناك مقارنة مستمرة بين الآلهة.

وفي سفر الخروج المنسوب للنبي موسى عليه السلام يقول: «**لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور**» (خروج 20: 3 ـ 5).

ثم يقول: «**لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب**» (خروج 20: 23).

يعلق آرنولد توينبي المؤرخ المعروف قائلاً حول ذلك: (لقد تصوروا إلههم في صورة إنسان، ويطلب هذا الكائن الإنساني الإلهي من أتباعه طاعة عمياء وولاءً صادقاً كاملاً ولا تختل وجهة النظر هذه بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الإنساني بين مثقف وجاهل قديماً وحديثاً. ويعثر عليها الباحث بين القبائل الإسرائيلية البربرية في سالف الأيام ولا يسلم من الإيمان بها فلاسفة اليهود المحدثين. ولم يحدث قط أن تصور اليهود ربهم في صورة تتنزه عن التجسيد الإنساني حتى وقتما قرنوه بالحقيقة الروحية المطلقة)[1].

أما في الإصحاح 25 من سفر الخروج تقول التوراة: «**وكلم الرب موسى قائلاً تكلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي. وهذه هي التقدمة التي تأخذون منهم. ذهب وفضة ونحاس وإسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم**» (خروج 25: 1 ـ 8).

---

(1) فؤاد شبل/ مشكلة اليهودية العالمية. دراسة تحليلية لآراء آرنولد توينبي المكتبة الثقافية عدد 241 عام 1970.

ففي هذا النص يبدو التجسيد للذات الإلهية أكثر وضوحاً. فالرب يطلب من اليهود أن يصنعوا له مسكناً مصنوعاً من الذهب والفضة والأرجوان الخ.

أما عن كتابة الألواح فتقول التوراة: (واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين). فالله يكتب بيده اللوحين وهذا بالطبع تجسيد واضح تماماً.

(الله قائد عسكري في أسفار التوراة الخمسة الأولى)

بعد أن تبين لنا أن كاتب التوراة لم يترك وسيلة لتجسيد الذات الإلهية إلا واستعملها يبرز لنا منحى آخر لهذا الإله التوراتي في سفري العدد والتثنية وهما من الأسفار التي نُسبت إلى موسى ﷺ.

نرى في البداية أن هذا الرب يدعو إلى احتلال أراضي الشعوب الأخرى بأساليب القهر والظلم والعنصرية والقسوة. وتعتبر هذه الدعوة لهذا الاحتلال دستوراً قتالياً سياسياً لهؤلاء اليهود.

قوانين الحرب

يأتي في سفر التثنية الإصحاح 20: «**حيث تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف**».

نلاحظ أن الإله التوراتي يملي على أتباعه شريعته المليئة بمشاعر العدوان ونزعة التعطش للدماء والقتل والعدوان. والواقع أن هذا الإله هو من صنع مخيلة كاتب التوراة. بمعنى أنهم تصوروا هذا الإله وتخيلوه وراحوا ينطقونه بما يريدون وبما تهوى أنفسهم، وهذه الصورة التي وضعها اليهود لهذا الإله هي الصورة التي شكلوا خطوطها من أهدافهم ومزجوا ألوانها من أطماعهم وحددوها بإطار من الروح التي حملوها في صدورهم. وقد أرادوا لهذا الإله أن يكون قاسياً داعياً للحرب مدمراً يملي على شعبه الخاص دروساً في القتال والحقد والقسوة والوحشية.

ويتابع هذا الرب مسيرتهم في كل الأمكنة التي يصلون إليها فيأتي في العدد وفي الإصحاح 22: 9: «**فأتى الله إلى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك**».

فالله ينتقل من مكان إلى مكان يرعى جنوده وخاصة شعبه المقاتل أو المنطلق للقتال. ويرى المرء أن هؤلاء اليهود هم الذين يحملون هذا الإله الوثني معهم أينما ذهبوا وحيثما توجهوا. وهذه العادة كانت متبعة لدى الشعوب القديمة حيث كان الإله يُحمل معهم لينصرهم على أعدائهم باعتبار أن هذا الإله يتمثل بالصنم. فكان من السهل حمله معهم وبأي شكل كان. ومثال ذلك أوردته التوراة بأن الفلسطينيين حملوا إلههم (داجون) في حربهم مع العبرانيين أيام الملوك والقضاة كما تقول.

ويتدخل الرب في شؤون الحرب فيوافق على حرب فئة ويعارض في حرب فئة أخرى حتى أن تدخله يأتي بأسلوب فج وأحياناً مضحك.

ففي سفر العدد تقول التوراة: فحمي غضب الرب لأنه منطلق. ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه فأبصرت الأتان ملك الرب وهو واقف في الطريق.

وفي منحى آخر تقول التوراة في سفر العدد الإصحاح 35: 9 ـ 11:

وكلم الرب موسى قائلاً: «**كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتعيّنون لأنفسكم مدناً تكون مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً**».

فهذا الرب يعد اليهود بمدن وأراض مقابل ولائهم له، بل يهيىء لهم هذه المناطق ليهرب إليها القاتل لئلا يلاحقه الناس أو تلاحقه العدالة.

(الإله التوراتي وقوانين الحرب العنصرية)

يقول المؤرخ توينبي: (ولعله كان في الأصل رب القبائل الكنعانية أو مدين. ومهما يكن من أمر موطنه الأصلي يبدأ سجله التاريخي منذ أن اتخذته إسرائيل إلهاً سياسياً لها)[1].

(1) فؤاد شبل/ مشكلة اليهودية العالمية، ص 25 سبق ذكره.

ولننظر إلى هذه القيادة الإلهية لبني إسرائيل في حروبهم المفترضة ضد القبائل العربية تقول التوراة: «**هأنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها**» (خروج 34: 11 ـ 12).

ويأتي في سفر التثنية: «**فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم**» (تثنية 1/ 3).

ويأتي أيضاً في التثنية: «**فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص: فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبقِ شارداً. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا**» (تثنية 2: 31 ـ 35).

ولنعد على الأسماع القوانين الدموية العنصرية التي جاءت في سفر التثنية وهي مخالفة لطبيعة النبوة.

«**حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبعد منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحِوّيّن واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك**» (تثنية 20: 10 ـ 17).

وجاء في سفر التثنية أيضاً: «**الرب إلهك هو عابر قدامك. هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك فترثهم**» (سفر التثنية).

وإذا دققنا النظر في هذه القوانين نراها تتناقض كلياً مع منهج النبوة بشكل عام وتتعارض كلياً مع شخصية موسى عليه السلام كما جاء عليها القرآن الكريم.

ومن الواضح تماماً أن هذا الكلام الذي أورده كاتب التوراة في سفر التثنية المنسوب زوراً وبهتاناً إلى النبي موسى يتحدث عن مرحلة لاحقة وهي مرحلة تأصيل الحقد اليهودي على القبائل العربية الفلسطينية. عندما تصدى العرب من كنعانيين وبابليين لهذا التسرب اليهودي إلى فلسطين. وعندما خلّصت فلسطين من دنس هذا التسرب وجد اليهود أنفسهم بلا شيء لذلك صب كاتب التوراة جام حقده على أهل فلسطين. وأصبح كلامه قوانين يسير عليها اليهود حتى يومنا هذا.